

تفسير ابن كثير

يقول تبارك وتعالى : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخر كما قال تعالى : { كتبنا لأغلبنا ورسلي إننا قوي عزيز } وقال D : { إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد } ولهذا قال جل جلاله : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون } أي في الدنيا والآخر كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلكنا الكافرين ونجى عباده المؤمنين { وإن جنودنا لهم الغالبون } أي تكون لهم العاقبة وقوله جل وعلا : { فتول عنهم حتى حين } أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ولهذا قال بعضهم غيى ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضا في معناها وقوله جلت عظمتها { وأبصرهم فسوف يبصرون } أي أنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد { فسوف يبصرون } ثم قال D : { أفبعذابنا يستعجلون } أي هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فإننا تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة قال تعالى : { فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين } أي فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم بإهلاكهم ودمارهم وقال السدي { فإذا نزل بساحتهم } يعني بدارهم { فساء صباح المنذرين } أي فبئس ما يصبحون أي بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس B قال : صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون : محمد والله والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [أكبر خربت خيبر إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين] ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس B وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة B قال : لما صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا مدبرين فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : [أكبر أكبر إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين] لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى : { وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون } تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم